مشكلة الزواج بين سكان المدن

للأستاذ أحمد خليف

ليس هنالك من شك فى أن الزواج من أعقد مشاكلنا الاجتماعية التى كثر فيها الكلام وتعددت الآراء واختلفت الحلول . ولكنا بالرغم من ذلك لم نوفق حتى الآن الى الحل الذى نراه كفيلا بعلاج هذه المشكلة مؤديا بها الى الغرض الذى تنشده الأمة وهو إيجاد جيل صالح اكتملت فيه كل العناصر التى تجعله جديرا بالبقاء، جديرا برفع لواء بلاده والقصد الذى يرتضيه الفرد باعتباره جزءا من مجموع الأمة وهو تهيئة الحياة السعيدة التى يصبو اليها ويطمح فيها عن طريق الزواج . ولذلك أسباب كثيرة تتلخص فيما يلى :

(أولا) تأثرت المدنية الحديثة بتيارها الجارف فى أخلاق كل من الشاب والفتاة تأثيرا له خطره الكبير الملحوظ فيما تراه من تدهور الأخلاق والبعد عن الفضيلة وتقليد الغرب فى عاداته المستهجنة ونبذ تقاليدنا الشرقية الموروثة .

لم يفهم الكثير من الناس كلمة المدنية إلا على الوجه الخاطئ . حقيقة إنها أشعرت الفرد سواء أكان رجلا أم امرأة بما له من الحقوق وما عليه من الواجبات إلا أن البعض أساء فهمها فنشأت نتيجة ذلك حالة الانحلال الخلقى التى نلمسها بين المصريين وشاع الاستهتار بالتقاليد وعم الفساد فأصبح المجتمع يرزح الآن تحت مساوئ اجتماعية خطيرة تفشت بين سائر الطبقات حتى أدرك بعض المصلحين الاجتماعيين خطرها فنادوا بوجوب إصلاح المجتمع وتخليصه من أدران ما أصابه من الفساد .

تأثرت الفتاة المصرية الى حد بعيد بالمدنية الحديثة فأرادت تقليد زميلتها الغربية إلا أن هذا التقليد شمل كل شىء فى نظام حياتها الاجتماعى حتى طباعها وأخلاقها فحررت نفسها من القيود التى فرضت على المرأة الشرقية فيما مضى وأصبحت الآن لا تعبأ بتقاليدها الموروثة وإنما تعمل وتفعل ما يتراءى لها حسب أهوائها وميولها الشخصية . وهى وإن كانت تتجه أحيانا إلى غاية نبيلة إلا أنه نظرا لهذه الطفرة فى حياتها الاجتماعية التى تريد بها أن تصبح على قدم المساواة فى الحقوق مع زميلتها الغربية وتنازعها بين نوعين مختلفين من الحياة، حياة حدودها ضيقة ، وهى حياة المنزل وحياة أفقها متسع وهى الحياة خارجه أصبحت لا تقوى على الوقوف أمام هذا التيار الجارف الذى يلاحقها فى عواطفها وميولها فانزلقت فى الهاوية بسهولة وكان للمدنية بالرغم من محاسنها عيوبها الظاهرة وأثرها الخطير الواضح فى أخلاق الفتاة.

عرف الشاب ذلك عن الفتاة وسهل عليه مصاحبة من يشاء من الفتيات واستطاع الحصول منهن على متعته المؤقتة فأحجم عن الزواج وأعرض عنه وخشى عاقبته لأنه فى كل يوم أمام حالة جديدة وكارثة خلقية متكررة .

(ثانيا) هنا لك شروط أو عناصر يرى الشاب وجوب توافرها فى الفتاة التى يختارها لتكون شريكة حياته . وهذه العناصر تختلف فى نظر كل شاب عن الآخر كما أنها تختلف عند الفتيات أنفسهن فهذا شاب يرى جمال الشكل واعتدال القوام المثل الأعلى فى الفتاة التى يريدها وذاك يرى الفتاة الثرية هى ضالته المنشودة وثالث يرى مكانة عائلتها الأدبية وحسبها ونسبها إنما هو كل ما يبغيه فى الفتاة ورابع يفضل المتعلمة تعليما راقيا لتكون أقرب الى فهم ميوله وطباعه وتقدير مجهوده فى الحياة من غيرها . وهكذا نرى تباين العناصر التى تستهوى الشاب وتحببه فى اختيار الفتاة التى يرومها ويود الاقتران منها ولكن بالرغم من توفيق الكثير من الرجال فى الحصول على الفتيات اللاتى ينشدون إلا أن الكثير يفشلون فى حياتهم الزوجية ذلك لأن توافر العناصر التى يتطلبونها فى الفتاة ليس معناه الحصول على وثيقة النجاح فى الحياة الزوجية إذ النجاح فى هذه الحياة المعقدة يتطلب أولا وقبل كل شىء امتزاج طبيعة الزوجين امتزاجا تاما وفهم كل من الطرفين الآخر فهما تاما يصحب ذلك الشعور بالميل كل الى الآخر وخلاصة ذلك ما يسمى بالتجانس أو الانسجام بين الزوجين .

(ثالثا) بالرغم من تطور الحياة الاجتماعية ومعرفة العائلات المصرية بأن الزواج لم يعد كما كان يقصد به فيما مضى من اتخاذ الزوج لزوجه كسلعة مسلوبة الحقوق لا يتغنى منها إلا إشباع رغباته الجنسية — ولذلك فقد كان الزواج أشبه شىء بصفقات تجارية يرتفع فيها ثمن شراء الزوجة أو ينخفض تبعا لمكانة عائلتها ومبلغ ثرائها — وبالرغم من معرفة البيوتات المصرية بأن الزواج إنما هو شركة بين فردين أريد بها التعاون لمواجهة الحياة والكفاح فى سبيل الحصول على العيش واقتسام حلو الحياة ومرها . بالرغم من ذلك نجد أنه ما زالت بعض العائلات تميل الى الرجعية وتنظر الى مسألة الزواج على غير حقيقتها فتغالى فى طلب الصداق لفتاتها وتعمل على إرهاق المتقدم لخطوبتها بما فوق طاقته وتكبده نفقات ليست فى مقدوره فتكون النتيجة انصراف الكثير من الشبان عن خطوبتها وبينهم الكثير ممن يصلحون أزواجا يقدرون الزوجية ويفهمونها على وجهها الصحيح . وقد تجد مثل هذه العائلة بغيتها فى رجل يستطيع القيام بكافة النفقات التى تطلبها إلا أن النتيجة بعد ذلك تكون فشلا تاما بين الزوجين فى حياتهما وتذهب الفتاة التعسة ضحية تعنت عائلتها وسوء تصرفها .

(رابعا) عدم تشجيع الشبان على الزواج . فالحياة الزوجية كما يعرفها كل فرد لها تبعاتها ومسئولياتها كما أن لها نفقاتها ومستلزماتها . ولذلك لا يجد الشاب ذو المرتب الصغير المحدود مع ما يعرفه عنها ما يغريه فيها . وهو وإن كان يؤمن فى قرارة نفسه بأنها حياة استقرار إلا أنه من الناحية الأخرى يعتقد أنه ليس هنالك ما يؤمنه عليها ويحفظ لها مستقبلها .

إذا ما تزوج الموظف زادت بلا شك نفقات معيشته وتستمر هذه الزيادة فى الاطراد كلما أثمر الزواج . ولذلك إذا لم يجد ما يعينه على حياته الزوجية ويخفف عنه بعض أحمالها ساءت حالته من الوجهتين الاجتماعية والمادية . وإذن يمكن إن يقال إن عدم مساعدة

الحكومة والهيئات فيما مضى للتزوج بزيادة مرتبه وتعليم بعض أبنائه بالمجان صرف الكثير من الشبان عن الاقدام على الزواج فى حين أن الحكومات فى البلاد الأجنبية الراقية تعمل على التخفيف عن المتزوج بكافة الوسائل وتشعره بأن له حقا عليها يجب أداؤه كما أنه يؤدى لها حقا من أجل وأسمى الحقوق الا وهو تنشئه أبناء يعرفون حقوق بلادهم ويدافعون عن هذه الحقوق فليس أقل من أن تشاطره الحكومة بعض تبعاته وتخفف عن كاهله .

ذكرت كل ما أراه من أسباب لها أكبر الأثر فى تفاقم مشكلة الزواج فى بلادنا بين سكان المدن والآن أدلى لحضراتكم بما أقترحه من حلول لها :

(أولا) الدعوة إلى التمسك بتقاليدنا الموروثة ونبذ ما ساء الى حياتنا الاجتماعية. فقد شاعت فى المجتمع المصرى وبخاصة فى السنوات الأخيرة عادات دخيلة عليه أريد بها تقليد الأجانب حتى اعتبرت تطورا فى المدنية الحديثة وكان لها مع الأسف الشديد أكبر الأثر فى انحلال الأخلاق وتدهورها . فالرقص الأفرنجى فى المحال العامة واختلاط الجنسين فى النوادى والصالونات خصوصا مع عدم وجود العائلة وارتياد شواطئ الاستحمام بالطريقة التى طالما أحدثت صيحات مدوية فى الجرائد والمجلات وغير ذلك من العادات التى أخذناها عن الأجانب أدت بمجتمعنا الى هذه الحالة السيئة حتى خيف على البقية الباقية من الأخلاق أن تذهب كما أدت الى تفاقم مشكلة الزواج .

ومع معرفتنا بأن الفتاة وهى أحد عنصرى المجتمع سريعة التقليد سهلة الانقياد أدركنا سر سرعة انزلاقها فى الهاوية .

لذلك كان لزاما أن يقوم دعاة الإصلاح الاجتماعى بالدعوة إلى التمسك بتقاليدنا الشرقية الموروثة والعمل على تطهير المجتمع من هذه الشرور التى ذهبت الفتاة ضحيتها . وبذلك نستطيع أن نؤسس البيت المصرى على دعائم قوية من الفضيلة ومتانة الخلق .

(ثانيا) إعطاء المتزوج بعض الامتيازات التى تشعره بأن الحياة الزوجية ليست عبئا ثقيلا يصعب حمله . فالأسرة ليست إلا جزءا من مجموع الأمة أو هى ليست إلا الأمة مصغرة إن سعدت واطمأنت فى حياتها سعدت الأمة فى مجموعها .

وتنحصر هذه الامتيازات فى التشجيع المادى عند الزواج ويستمر كلما أعقب الفرد مولودا، كما تنحصر فى عون الحكومة له بتعليم بعض أبنائه بالمجان فى مراحل التعليم المختلفة . وبذلك يشعر المتزوج بأن تبعات الحياة وتكاليفها مقسمة بينه وبين حكومته وأنه لم ينفرد وحده بتحمل كل أعبائها .

قدرت الحكومة الحاضرة العبء الذى يرزح تحته الموظف وبخاصة فى الظروف الحالية كما قدرت ما تتطلبه الحياة الزوجية من نفقات فقررت رفع الفبن عن الموظف الصغير والتخفيف عنه وتشجيع المتزوج ماديا . ولئن كان هذا الانصاف الذى تشكر عليه ليس كل ما يطمع فيه الموظف إلا أنه دليل على تفكير أولى الأمر فى شأنه ورغبتهم فى تحسين حالته .

ثالثاً — سن تشريع خاص يسهل مسألة الزواج للراغبين فيه . فما زالت الأسر المصرية بصفة عامة تغالى فى صداق بناتها وترهق الشاب المتقدم للخطوبة بنفقات فوق طاقته . وما زالت الفكرة القديمة التى تنظر إلى الزواج على اعتبار أنه صفقة تجارية وليس تعاونا على الحياة مسيطرة على عقول الكثيرين حتى إن المتقدم للزواج يقدّر بقدر ما يدفعه لا بقدره هو من حيث شخصيته وأخلاقه .

إن النظر إلى الحياة الزوجية يجب أن يكون فوق المادة فقد ثبت فساد النظرية القديمة وما الحياة الزوجية إلا شركة بين شخصين يجب أن يسودها الوئام والاخلاص كما يجب أن يشعر كل شريك بالميل إلى الآخر و برغبته فى استمرار الشركة . إما أن ينظر إليها غير هذه النظرة فيكون مآلها الفشل أو ما نسمع من مآس اجتماعية .

عمل كثير من الدول على تيسير مسألة الزواج حفظا لكيانها ومجموعها — فتركيا وهى أحدث هذه الدول عهدا بذلك سنت تشريعا خاصا يشجع الشباب على الزواج و يسهل له الاقدام على هذه المسألة الحيوية . وقد تناول هذا التشريع فى أهم مواده مسألة الصداق ونفقات الزواج وجعلها فى مقدور كل فرد، بل إنها فى بساطتها تكاد لا تشعر الشخص بها .

و إننا فى مصر لفى أشد الحاجة إلى مثل هذا التشريع فسوف يكون له أثر كبير فى حل مشكلة الزواج التى لا يجد الشبان أمامهم ما يشجعهم على الاقدام عليها .

هذا هو تحليل مفصل لمشكلة الزواج وما اقترحه لها من حلول فأرجو أن تنال عناية من يهمهم أمر مشاكلنا الاجتماعية والله ولى التوفيق .

أحمد خليف